﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: 27 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لمّا ذَكرتِ الآياتُ السّابقة حسرةَ الإنسان الكافر على صنيعه الظّالم لنفسه في الدّنيا، الذي انتهى به في العاقبة الخاسرة في الآخرة؛ ناسبَ الانتقالُ إلى بيان حال النّفس المُطمئنة؛ ليقع الأُنسُ في قلوب المؤمنين بعد التّرهيب المقصود به قلوبَ الكافرين، على سنّة القرآن في ذكر المثاني، ولشفاء المتشوّق لمعرفة ما يقع للمؤمنين من الخير العميم، كما أنَّه "لمّا وصفَ حالَ من اطمأنَّ إلى لذّات الدّنيا المنهمكِ فيها، ناسبَ وصفُ حالِ من اطمأنَّ بالله تعالى وطاعتِه"[1].

من عادة القرآن الجمعُ بين التّرغيب والتّرهيب، فذَكرَ حالَ من اطمأنَّ بالله تعالى وطاعتِه بعدَ ذِكر حالِ من اطمأنَّ بالدّنيا ولذّاتِها

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الاطمئنان من طَمَنَ الشّيءَ، أي: سَكَّنَه فسَكن واستقرَّ، والطُّمأنينةُ والاطمئنانُ: السّكونُ بعد الانزعاج، وأصلُه من اطمأنَّتِ الأرضُ، أي: انخفضَتْ، وأرضٌ مُطْمَئِنَّةٌ: منخفضة، ويُقال: اطْمَأنَّ قَلْبُهُ إذا سَكَنَ، ومنه اطْمَأنَّتْ نَفْسُهُ، أي: سكنت، والنّفسُ المطمئنَّة هي السّاكنة التي لا ترتاب، ولا تضطرب؛ الموقنةُ بوعد الله، المُصَدّقةُ به[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيّن الآياتُ الكريمة ما يُقال للنّفس المؤمنة الزّكيَّة عند الموت ويوم القيامة: يا أيتّها النّفسُ المُطْمَئِنَّةُ السّاكنة الثّابتَةُ الدّائِرَةُ مَعَ الحَقِّ ارجِعي إلى جِوار ربِّك وثوابِه، وما أعَدَّ لِعبادِهِ في جَنَّتِه، راضيَةً

النّفس المُطمئنة قرارٌ واستقرارٌ ورحمةٌ وراحة بال

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 161.

(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 10/ 528، والواحديّ، التّفسير البسيط: 23/ 527.

عن عملِها في الدّنيا وعن ربِّها بما وعدَها به مَرْضيَّةً عنده، فادْخُلي في جملة عِبادي الصّالحين المُختصّين بي، المُكرمين عندي، وادْخُلي جَنَّتي التي أعددتّها لكِ وللمؤمنين[1]، واتِّصالُ هذه الآيةِ بالآياتِ التي قبلَها في التّلاوة وفي كتابةِ المصحفِ قرينةٌ على أنَّ هذا القولَ يقال في الآخرة[2].

ونقل بعض المفسّرين أنَّ هذا القول يُقال للرّوح عند الموت لطمأنة المؤمنِ وبشارتِه بوعد الله له[3]، أي: يخاطبُها الله تعالى بذلك، فتخرج على سهولة وراحة[4]، ولا مانع أن يُقال لها هذا القول عند الموت ويوم القيامة أيضًا، كما ذهب إليه ابنُ كثير[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الاستئناف ودلالتُه:

استئناف الكلام عن نفسِ المؤمن بعد الحديث عن الكافر

لمّا أخبر الله تعالى عن حالِ الإنسان الكافر وندامتِه وعذابه الشّديد يومَ القيامة، استأنف الكلامَ في بيان حالِ المؤمنين؛ لأنَّ النّفس تتشوّف لمعرفة حالِ أضداد أولئك القوم الذين أخبر عن ندامتِهم وحسرتِهم، فاستأنف الكلام فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: على أن تكون الجملة مقولَ قولٍ محذوف[6]، ففيه إيذانٌ بغاية التَّباينِ بين الحالتين، ولهذا لم تعطف هذه الجملة على الجملة السّابقة وجاءت بطريق الاستئناف[7].

نُكْتَة حذفِ القولِ ودلالتُه:

حُذِف لفظُ القولِ قبلَ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 400.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/ 340.
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 253، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 444، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 642.
(4) أبو حفص النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 15/ 353.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 400.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 752، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 311.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 345.

لزيادة التّكريم في إشارة إلى سرعة البِشارة، وهذا النّداء المباشر للنّفس المطمئنة يترك راحةً في نفوس المؤمنين.

بلاغة استعمال حرفِ النّداء:

استعمالُ حرفِ النّداء للبعيد في خطابِ النّفس المؤمنة في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ للإشعار بعُلوِّ منزلتها ورِفعتها، ولمّا أخبر الله تعالى عن بُروز جهنَّمَ وظهورِها في قوله: ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ وكان مجيئها دالًّا على حضورِها، ناسبَ نداءُ النّفسِ المؤمنة نداءَ البعيد؛ للإشعار بأنَّها بعيدةٌ عن جهنَّم وعمّا يقع للكافر من العذاب.

النّفس المؤمنة بعيدةٌ عن أهوال جهنَّم وما يصيب الكافر من أحوال

دلالة التّنبيهِ في قوله: (أيَّتُها):

جاء التّعبير بقولِه: (أيَّتُها) لتنبيه النّفس المخاطَبة إلى إكرامِها وتشريفِها بوصفِها بالمُطمئنّة، وجاءت الصّيغة مؤنَّثةً؛ لأنَّ النّفسَ مؤنَّثةٌ.

نُكْتَة نداءِ النّفس المؤمنة دون المؤمنين:

آثَر النّظمُ الكريم ذِكرَ ﴿ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ دون أن يُقال: (يا أيّها الذين آمنوا)، مع أنَّ المقصود خطابُ المؤمنين؛ وذلك لِما فيه من المبالغة في التّفخيم بمَجيء القولِ على جهة الإكرام والتّشريف باجتماع حرف النّداء للبعيد وخطاب كلِّ نفسٍ على حِدةٍ، زيادةً في طُمأنينتِها وسكونِها، فإنَّ خطابَ النّفس بصيغة المُفرد، إعلامٌ بخصوص الإكرام لكلِّ نفسٍ تُخاطَبُ على حِدةٍ، ووصفُها بالمطمئنّة المُضَمّن معنى الإيمان واليقين والأمن والأمان، وأمرُها هو أمر تكريم وتشريف بالدّخول في عباده سبحانه، ودخولُ جنّته أوثقُ وأبلغُ في استقرارِها وسكونها وفَرحِها في ذلك اليوم العصيب.

إفراد كلِّ مؤمنٍ بالنّداء مزيدُ تشريف وتكريم

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلنَّفْسُ﴾:

إن كان قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يُقال عند موت المؤمنين؛ فالتّعريف في لفظ ﴿ٱلنَّفْسُ﴾ للعهد، بمعنى النّفس

يُحتمل أن يُراد بالنّفس الذّات والرّوح

المعهودة عند خطابِها عند الموت، وإن كان القول عند البعث أو عند دخول الجنَّة فالتّعريف في لفظ ﴿ٱلنَّفۡسُ﴾ للجنسِ، فيدخل في لفظ ﴿ٱلنَّفۡسُ﴾ كلُّ نفسٍ مؤمنة، والنّفس هنا يُراد بها الذّات؛ لأنَّه قال بعدَها: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾؛ لأنَّ دخول الجنَّة للذّات، أي: الجسد مع الرّوح.

وأجاز بعضُ المُفسّرين أن يكون المراد منها الرّوح التي تكون في الجسد، إذ رأوا أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ بمعنى: فادخلي في أجْسادِ عِبادي[1]، والرّوح هي التي تدخل في أجساد العِباد، فيكون خطابًا للرّوح عند خروجِها من جسد المؤمن وعند البعثِ.

بلاغة استعمال مفردة ﴿ٱلنَّفۡسُ﴾ دونَ الإنسان:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بمفردة النّفس دونَ الإنسان؛ لأنَّه لمّا أخبر عن تعلّق الكافر بالدّنيا ومَلذّاتِها وتهالكِه عليه، ودلَّ ذلك على امتلاء نفسِه بالأكدار والطّبائع السّيّئة، ناسبَ مقابلتُه بذِكر الطّرف المقابل، فعَبّر بالنّفس موصوفة بـ﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾؛ للدّلالة على صفائِها وسكونِها وخُلوها من الأكدار، على ضِدِّ ما كانت عليه نفس الكافر، فالنّفس هي موضع الشّهوات والأهواء، فمقاومةُ المؤمن لها، بأن يجعلَها موضعَ الطّاعات والأعمال الصّالحات، يزيدُه شرفًا ورِفعةً وكرامة.

النّفسُ هي موضع الشّهوات فوَصْفُها بالإيمان يزيدُها رِفعةً وشَرفًا

بلاغة وصفِ ﴿ٱلنَّفۡسُ﴾ بـ﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾:

جاء وصفُ ﴿ٱلنَّفۡسُ﴾ بـ﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ لتمييز المخاطَبين بالوصفِ الذي يُميّزهم عمّن عداهم، فيَعرفون أنَّهم المخاطبون المأذونون بدخولِ الجنَّة؛ لأنَّهم لا يَعرفون أنَّهم مطمئنّون إلّا بعدَ الإذن لهم بدخولِ الجنَّة على أحدِ القولين المذكورَين في وقت القول، فالوَصْفُ

الطُّمأنينة وصفٌ ثابتٌ للنّفس المؤمنةِ، يكون لها عند دخول الجنّة

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 59، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 311، والقنوجيّ، فتح البيان: 15/ 233.

مُرادٌ بهِ الثَّناءُ وتَبْشيرُ مَنْ وُجِّهَ الخِطابُ إلَيْهِمْ بأنَّهُم مُطْمَئِنّونَ آمِنونَ، وفيه إيماءٌ إلى وجه بناء الخبرِ، وهو الأمر برجوعِها إلى ربِّها راضيَّةً مرضيَّةً، والإذن لها بدخولِها الجنَّة. ويَجوزُ أنْ يَكونَ الوصفُ لِلتَّعْريفِ أوِ التَّخْصيصِ بأنْ يَجْعَلَ اللهُ إلْهامًا في قُلوبِهِمْ يَعْرِفونَ بهِ أنَّهُمْ مُطْمَئِنّونَ[1].

بلاغة التّعبير بمفردة ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ دونَ مقارباتها:

الطّمأنينةُ تدلُّ على اليقين والسّكون والاستقرار والأمان

لمّا كان الخطاب في قوله: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يقال للنّفس المؤمنة عند الموت، أو في يوم القيامة حينما تظهر الحقيقة ويظهر وعدُ اللهِ، آثَر النّظمُ وصفَ النّفسِ بالمُطمئنة دونَ المؤمنة؛ وذلك لأنَّ الطّمأنينةَ توصَفُ بها النّفسُ حين لا يبقى عليها في يقينها مطلبٌ يُحَرّكها إلى تحصيله[2]، فالاطمئنان يدلُّ على التّصديق على طريق اليقين، كما أنَّ الطّمأنينة تدلُّ على السّكون والاستقرار والأمان، فناسبَ مخاطبتُها بهذا الوصف يوم القيامة؛ للإشعار بأنّها آمنة من العذاب الذي يعذّب به الكفّارُ، فلا يستفزها خوفٌ ولا حُزنٌ لا قلقٌ ولا اضطرابٌ. ولمّا كانت الطُّمأنينة لازمةً لليقين دلَّ على أنَّها موقنةٌ فلا يخالجها شكٌّ في وعد اللهِ وفيما آمنت به، فذُكِرَ وصفُ ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾؛ للجمع بين كونها موقنةً وكونها آمنةً[3].

فائدة حذفِ متعلّق ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾:

الطُّمأنينة وصفٌ قائم بالنّفسِ بما يُكسبها قوّةَ الإيمانِ وثباتَ اليقين

آثَر النّظمُ الكريم حذفَ متعلّق صفة ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، فإنَّه يقال: هو مطمئنّ إلى كذا، أو مطمئنٌّ بكذا، وفائدة حذف المتعلّق إثباتُ الوصف للنّفس ولزومُه لها، بمعنى أنَّ الاطمئنان صار وصفًا لازمًا لها، فهي مطمئنّة إلى وعدِ اللهِ الذي وعدها في الدّنيا، وإلى ثوابِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 343.
(2) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 5/ 481.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 161.

وحُسْنِ كَرَمِه وفضلِه وإلى ذكرِه، ففي الحذف تمحيض النّفس للاتّصاف بالطُّمأنينة الذّاتيّة، وهي ما أكسبها المدحَ والثّناء.

نُكْتَةُ استعمالِ مفردة الرّجوع دونَ مقارباتها:

رجوع كلّ نفس إلى ربِّها رجوعًا حقيقيًّا بقطع النّظر عن إدراك كُنْهِ ذلك

آثَر النّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾؛ وذلك لما فيه من معنى العَود إلى ما كان منه البَدء، ويقتضي الرّدَّ إلى أمرٍ كان عليه في الأصلِ، فأفادت المفردةُ بأنَّ مبدأ النّفس من ربِّها ورجوعَها إليه، فإذا ماتت وخرجت روحُها وبُعِثَت يومَ القيامة رجعت إلى خالقها، وهو المحسن إليها في عَودِها واستقرارِها في جِوارِه وجنّاتِه، ففي المُفردة إيماءٌ إلى أنَّ العبدَ يرجع إلى الله تعالى، رجوعًا حقيقيًّا، وإن لم يُدرك كُنهه، ولم تُعلم حقيقتُه.

غرضُ الأمر ودلالتُه:

أمرُ النّفسِ المُطمئنّة بالرّجوعِ تشريفٌ بالإكرام لا تكليفٌ بالإقدام

الأمر في قوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾ هو من باب الأمر الذي يُقصَد به الوعد[1]؛ لأجلِ التّكريم، فالأمر بالرّجوع هو على معنى الوعد بإكرامِها وتشريفِها. كما يقال للدّاخل إلى سلطانٍ ليكرمه: ادخلْ مُعزَّزًا مُكرَّمًا، فليس المراد أمْرَه بالدّخول، وإنّما الوعدُ بالإكرامِ وتقريرِه، والإعلانُ به تشريفًا له.

دلالة حرف ﴿إِلَىٰ﴾:

دلّ حرفُ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ على انتهاء الغاية، ففيه إيماءٌ إلى النّفس التي سارت بعد خَلْقِها في حياتِها إلى نهاية غاية سيرِها، فلا انتقالَ لها بعد وصولِها إلى جِوار ربِّها إلى موضعٍ آخر.

تجلّت في سورة الفجر معاني التّربية والرّعاية والعناية بالمؤمنين

نُكْتَةُ التّعبير بعنوان الرّبوبيّة:

عُبِّرَ بعنوان الرّبوبيَّة في قولِه تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، ولم يقل: ارجعي إليَّ أو إلى الله؛ للإشارة إلى ما يقتضيه توحيدُ الرّبوبيّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 341.

بالإشعارِ بلطفِ الله بها في رجوعِها، وأنَّه تعالى هو مُربّيها في رجوعِها وعندَ مصيرها إليه، وأنَّ رجوعَها رجوعُ إكرامٍ وتشريفٍ، وفيه تقريرٌ لاطمئنانِها، وبشارةٌ بالإحسانِ إليها والإنعام عليها. ويُلْحَظ أنَّه لم يأتِ في السّورة ذِكرُه سبحانه إلّا بعنوان الرّبوبيَّة؛ فهي سورة تتجلَّى فيها تربيةُ الله تعالى للإنسانِ وإحسانِه إليه في الدّنيا، ويتجلَّى فيها تكريمُ الله تعالى لنبيِّه ﷺ وعنايتِه به ورعايتِه له، ويتجلَّى فيها كذلك إحسانُ الله بعباده المؤمنين من وقت خروج روحِهم الزّكيَّة من جسدِهم ويستمر هذا الإحسان يوم البعثِ وعند الحساب وبعدَه.

دلالة إضافة لفظ الرّبوبيّة إلى ضمير الخطاب:

لفظُ الرُّبوبيّة مُشعِرٌ بتمام العناية وكامل الرّعاية بالمؤمنين

لمّا كان القول: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يحتمل أن يكون صادرًا من الله تعالى، أو يكون من قول الملائكة، فإن كان من كلام الله تعالى كانت إضافة لفظ الرّبِّ إلى ضمير المخاطَب في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إظهارًا في مقام الإضمار، وكان على خلاف مقتضى الظّاهر، بقرينة تفريع ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ عليه. ونُكْتَةُ العُدولِ إلى الإظهار ما في وصفِ الرّبِّ من الولاءِ والاختصاص، وما في إضافتِه إلى ضمير النّفسِ المخاطَبةِ من التّشريف لها، وإن كان من قولِ الملائكةِ فلفظُ ﴿رَبِّكِ﴾ جرى على مقتضى الظّاهر. وعَطْفُ ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى﴾ عَطْفُ تَلْقينٍ يَصْدُرُ مِنْ كَلامِ الله تعالى تَحْقيقًا لِقَوْلِ المَلائِكَةِ ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[1].

بلاغة التّعبير بصيغتَي اسمِ الفاعل والمفعول:

رضا النّفسِ غايةٌ ورضا الله عنها أشرفُ مأمول

الرّاضيةُ: هي الّتي رضيت بما أُعطيَتْهُ من كرامةٍ، وقوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً﴾ كنايةٌ عن إعطائِها كلَّ ما تطمح إليه، والرّضا غايةُ المأمول. و﴿مَّرْضِيَّةً﴾ اسم مفعول، وأصل الكلام مرضيٌّ عنها، والمقصود من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 341.

الوصف باسم المفعول ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ زيادةُ الثّناء مع الكناية عن الزّيادة في إفاضة الإنعام؛ لأنَّ المَرضيَّ عنه يَزيدُه الرّاضي عنه منَ الهبات والعطايا فوقَ ما رَضيَ هو به[1].

بلاغة الحال في لفظَي ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾، ونُكْتَة التّرتيب:

جاء قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾ بذِكر حالَين من فاعل ﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾؛ ليُفيدَ تقييدَ رجوعِها في حالِ كونِها راضية، وفي حال كونِها مرضيَّة، والحال في اللّفظين مقارنةٌ ملازمةٌ، وذِكْرُ الحالِ الثّانية ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ من باب التَّرقّي في الإنعام والإكرام؛ فإنَّ كونَها مرضيَّةً عند اللّه أكبرُ من رضاها، فقد قال اللّه تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التّوبة: 72]. والجمع بين الحالَين من غير عطفٍ إيذانٌ باتّصاف النّفس المُطمئنّة بهما في وقت رجوعِها إلى ربِّها على سبيل اقترانِهما ولزومِهما للنّفس المطمئنّة، ففيه كمالُ الإكرامِ والإنعام والثّناء.

الجمع بين الرّاضية والمرضيَّة على سبيل الاقتران فيه كمال الإكرامِ والإنعام والثّناء

غرضُ حذفِ متعلّق صيغتَي ﴿رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾:

حُذِف متعلّق الرّضا ولم يقل: (راضية عن اللّه) ونحوه، لإفادة عموم رضاها، ويحتمل أن يكون الوصف بصيغة اسم الفاعل المحذوفِ متعلّقُهُ، على معنى أنَّ الرّضا صار وصفًا ثابتًا لها، فلا يأتي منها إلّا الرّضا لِما رأت من تحقّق وعدِ اللّه الذي آمنت وأيقنت به، ولمّا قال: ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ بصيغة اسم المفعول أفاد أنَّ الرّضا قد وقع عليها بما عملت وقدَّمت، ولمّا حذف متعلّق اسم المفعول ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ أفاد أنَّها مرضيَّةٌ عند اللّه وعند الملائكة، وفي كلِّ موضعٍ تكون فيه يومَ القيامة، فأينما حلَّت لقيت الرِّضا، فاجتمع الرِّضا وصفًا قائمًا بها، ووصفًا واقعًا عليها.

النّفس المؤمنة راضيةٌ عن كلِّ ما يأتي من الله مرضيَّة عند الله وملائكته

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 343.

نوع الفاء ودلالتُها:

الدّخولُ في الجنّة مترتّبٌ على الرّجوع إلى الله راضية مَرضيّة

الفاء في ﴿فَٱدۡخُلِي﴾ للتّفريع على ما قبلها على سبيل التّفصيل بعد الإجمال؛ زيادة في الإكرام والتّشريف، ففيه تكرير لإدخال السّرور على أهلِها[1]. ويحتمل أن تكون الفاء للتّرتّب في الوقوع إن كان الأمر بالرّجوع إلى ربِّها مطلقًا لا يقصد به خصوص المصير إلى الجنَّة، بل زيادةٌ في طمأنة النّفسِ المؤمنة بما أعدَّ لها ربُّها، فيكون الأمرُ في قوله: (ادخلي في عبادي) مرتّبًا في الوقوع على الأمر برجوعِها، وعلى الوجهين فإنَّ قوله: ﴿فَٱدۡخُلِي﴾ هو من قول اللّه تعالى للنّفس المطمئنَّة، بقرينة قوله: ﴿فِي عِبَٰدِي﴾.

غرض الأمر ودلالتُه:

أمرٌ قُصِد به الوعد، وفيه تكريم وتشريف

صيغة الأمر في قولِه: ﴿فَٱدۡخُلِي﴾ من قبيل الأمر الذي يقصد به الوعد، وفيه تكريم وتشريف كما تقرّر في وجه مجيء صيغة الأمر في قولِه: ﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾.

بلاغة حرف الظّرفيّة:

دخولُ النّفسِ المُطمئنة في عِباد الله راسخٌ خالدٌ مع إفادة المَعيّة

أفاد حرفُ الظّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ مُكْنَةَ اجتماعِ النّفسِ المطمئنّة بعبادِ اللّه، فكأنَّها لشِدّة مخالطتِها لهم صاروا ظرفًا لها لا يخرج شيءٌ من أحوالِها عنهم، ويَؤول المعنى إلى شِدّة الموافقة والتّآلف فيما بينهم، بحيثُ لا تخرج من زمرة عباده الصّالحين. والمعنى: ادخلي في زمرة عبادي، فالظّرفيَّة حقيقيَّةٌ، وتؤول إلى معنى المعيَّة[2]، كقولِه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النّساء: 69].

دلالة استعمال مفردة ﴿عِبَٰدِي﴾ مضافةً إلى الضّمير:

أوثِر استعمالُ مفردة ﴿عِبَٰدِي﴾ دون غيرِها مع الإضافة إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 343.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 344.

ضمير الجلالة؛ للإشعار بأنَّ المَرضيَّ عنهم هم العِباد الحقيقيُّون الذين آمنوا به وأخلصوا له سبحانه، فيستحقّون رحمتَه وجنّته، وغيرُهم من الكافرين لا يستحقّون هذا الوصفَ، مع أنَّهم عبادُه وهو خالقُهم، والإضافة إضافةُ تشريفٍ وتخصيصٍ بالإنعام والإكرام، والمراد: العِباد الصّالحون، بقرينة مقام الإضافة إلى ذاته سبحانه مع قَرنِه بقولِه: ﴿جَنَّتِي﴾، فهو كقولِه تعالى: ﴿لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [العنكبوت: 9][1].

المَرضيُّ عنهم يوم القيامة هم العِبادُ الحقيقيُّون المُستحقّون للثّواب الجزيل

نُكتة تكرارِ الأمر بفعل (ادْخُلي):

لمّا اختلف متعلَّق الأمر بالدّخول في قوله: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، دلَّ على أنَّ الدّخول الأوّل إمّا أن يكون دخولًا حقيقيًّا، بمعنى أن يكون عبادُه في موضعٍ خاصٍّ يجتمعون فيه قبلَ دخول الجنَّة مفصولين عن غيرِهم، وإمّا أن يكون على الاستعارة بتشبيه أمر النّفس بكونِها في زمرة عبادِه بالدّخول إلى موضعٍ مختصٍّ بهم على سبيل تخصيصِهم وتشريفِهم، وأمّا الدّخول الثّاني فهو حقيقيٌّ وهو دخولُ جنّتِه سبحانه. كما أنَّ في تكرار الأمر بالدّخول إشعارًا بالاهتمام بالدّخول بخصوصِه تحقيقًا للمَسرَّة للنّفس المطمئنّة[2]، وفيه إشعارٌ كذلك بأنَّ ختامَ أمرِ المؤمن ونهايةَ مطافِه هو دخولُ جنّتِه سبحانه.

من بدأ بالصّحبة الطّيِّبة كان ختامُه في الإقامة الطّيِّبة

نُكتة تقديمِ الأمر بالدّخول في العباد على دخول الجنّة:

دلَّ الدّخول الأوّل على اكتساب الدّاخل شرفَ الصّحبة، والدّخولُ الثّاني دلّ على اكتساب الدّاخل شرفَ الإقامة، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الصّحبة الطّيّبة تقود إلى طيب الإقامة.

الصّحبة الطّيّبة تقود إلى طيب الإقامة

نُكتة تعديةِ فعلِ (ادْخُلي) الأوّل بحرف ﴿فِي﴾ والثّاني بنفسه:

عُدّيَ فعلُ (ادْخُلي) بحرف الجَرِّ في الأوّل وبنفسِه في الثّاني؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 344.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 345.

فقال تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، ونُكْتَة اختلافِ التّعديَة: الإشعارُ بأنَّ الدّخول الأوّل هو دخولٌ على معنى الظّرفيَّة؛ ليُفيدَ الاجتماعَ والأُلفة مع العباد الصّالحين، وأمّا تعديةُ الفعلِ بنفسِه في قولِه: ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ فهو لإفادة أنَّها تدخل جميعَ الجنَّة، وليس في موضعٍ مخصوص منها، ففيه زيادةٌ في الإكرامِ والإنعامِ.

تنوّعُ تعديةِ الفعلِ لتنوّع المعنى المقصود

نُكْتَة إفرادِ الجنّة:

جاء لفظُ ﴿جَنَّتِي﴾ مُفردًا لإفادة أنَّ مراتب الجَنَّة كلَّها هي جنَّة واحدة في كونها دارَ كرامةٍ وإنعام، وأنَّ من دخل جنَّته فهو من أهل الكرامة، وإنِ اختلفت المراتبُ وتنوّعت الجِنانُ.

دلالة إضافة الجنّة إلى الضّمير:

أُضيف لفظُ الجنَّة إلى ضمير المتكلِّم العائد إلى الله تعالى في قولِه: ﴿جَنَّتِي﴾ إضافةَ تشريف[1]، بمعنى أنَّ الجنَّة إنَّما كانت موضعَ كرامةٍ وشرفٍ؛ لِكونِها جنَّتَه سبحانه، فأصلُ الأمرِ ومآلُه راجعٌ إلى فضلِه وكرمِه سبحانه.

كرامة الجنَّة وشرفُها لِكونِها جنَّتَه سبحانه

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّجوع والعَود:

الرّجوع: هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبلُ، بعد أداء أمرٍ والانتهاء منه، ويَدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف: 150]، فإنَّه رجع بعد أداء أمرٍ مع ربِّه. وقولُه: ﴿*وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التّوبة: 122]، فإنَّهم يرجعون إليهم بعد تفقّههم في الدّين وأداءِ هذه المُهمّة.

الـرُّجـوعُ هو رجوعٌ إلى المبدأ، والـعَـود تكرار العادة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 345.

والعَوْدُ يستعمل غالبًا في فعلٍ عادة قديمة، أو تكرار فعلٍ ما، فالعَود متعلّقٌ بتكرار فعلٍ، ومنه العادَةُ التي هي اسم لتكرير الفعل[1]، كما قد يستعمل في معنى المصير، من غير نظرٍ إلى أنَّه كان في مبدئِه عنده، وقد يُستعمل العَودُ في معنى الرّجوع إلى مبدأ كان عندَه من قبلُ، وهو بمعنى الرّجوع، ويستعمل كذلك بمعنى صار، فلا يستدعي الرُّجوعَ الى حالَة سابِقَة، بل عكس ذَلِك، وهوَ الِانْتِقال من حالَة سابِقَة إلَى حالَة مستأنفة، والعرب تَقول: (عاد فلان شَيخًا) وهوَ لم يكن شَيخًا قطّ[2]، ويستعمل في ابتداء الشّروع في الشّيء مجازًا، إذ يُقال: قد عاد إليَّ من فلان مكروهٌ، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبلَ ذلك[3].

ونُكْتَة استعمالِ الرّجوع في قولِه: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ دون أن يُقال: عودي إلى ربِّك؛ الإشعارُ بأنَّ رجوع النّفسِ هو رجوعٌ إلى خالقِها وفاطرِها، فهو رجوع إلى مُبْدِئِها بعد أدائِها مهامِّها في عبادة ربِّها وطاعتِه.

(1) الرّاغب، المفردات: (عود).
(2) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 657.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/ 355.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"